

الإصلاح الإسلامي في تحريم الخمر

جرى أهل مكة والمدينة أيام النبي (ص) - كلما لاحت لهم المناسبة - على معاقر الخمر حتي أصبحت الخمر سببا من أسباب الموبقات وباعثا على التورط في إثم آخر هو الميسر. ولم يمنع رسول الله (ص) شرب الخمر في صدر رسالته. ولكن الأحاديث النبوية تنير الضوء على تحريمها التدريجي. إن تعليم النبي(ص) هو في جملته منهج حكيم متكامل للتربية العقلية والخلقية.

إن تحريم الخمر هو إصلاح اجتماعي عظيم. والنبي (ص) قد فاز فوزا عظيما في تحريم الخمر. قال نفر من الصحابة: يا رسول الله، أفتنا في الخمر، فإنها مذهبة للعقل، فنزل فيها قوله تعالى: "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس". فشربها قوم لوجود النفع وتركها آخرون لوجود الإثم. ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا فشربوا وسكروا فقال بعضهم يصلي المغرب وهو سكران فنزلت الآية: "يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتي تعلموا ما تقولون"، فقلّ شاربوها في المجتمع الإسلامي.

ثم اجتمع قوم من الأنصار وفيهم سعد بن أبي وقاص، فلما سكروا افتخروا وتناشدوا الأشعار حتي أنشد سعد شعرا فيه هجاء للأنصار فضربه أنصاري، فشكا إلي رسول الله (ص) فقال عمر: ألهم بيّن لنا في الخمر بيانا شافيا، فإنها تذهب بالعقل والمال، فنزلت الآية: "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تغفون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون". فقال عمر: انتهينا يا رب. وكف الناس عن شربها وحرمت الخمر بالمدينة. كان تحريم الخمر تدريجا على الترتيب حكمة لأن القوم كانوا أثلفوا شربها وكان انتفاعهم بذلك عظيما، فعلم الإسلام أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق ذلك عليهم. ورسول الإسلام صورّ لأُمَّته مكارم الأخلاق لأن إقامة الأُمَّة تعتمد على الأخلاق المحمودة. ردّ النبي (ص) كل عمل يلزم بالخمر - بيعها وصنعها وشربها. حرمت الخمر في السنة

الرابعة من الهجرة أثناء غزوة بني نضير. حرم بعض الناس الخمر في الجاهلية وقيل إن أول من حرمها الوليد بن المغيرة.

كانت معاملة النبي (ص) لشارب الخمر رذيلًا جدًا بعد تحريم الخمر. إن الأحاديث النبوية تنير ضوءًا علي مقدار العقاب نحو السكر. لما نزلت آية تحريم الخمر ترك الصحابة ما عندهم من الخمر. و لم يعط رسول الله (ص) أية رخصة في شرب الخمر إما كان شفاء للمرض، لأن شرب الخمر من الخبائث. وكذلك كان شأن الخلفاء الراشدين، كان عمر الفاروق مشهورًا في هذا الأمر. وقد سوي رسول الله (ص) بين كثير الخمر وقليله في التحريم فقال: وما اسكر كثيره فقليله حرام. وقال أيضا : " كل مسكر حرام".

إن الخمر تخلق العداوة والبغضاء، لأن من شربها سكر، ومن سكر اختل عقله، لم يحترم دينًا ولا قانونًا ولا نظامًا. تصد الخمر عن ذكر الله وعن الصلاة لأن من سكر وفقد عقله لا يستطيع أن يذكر الله. وفي عصرنا الحديث، يوجد شرب الخمر في أسماء غير مألوفة عند التشريع منها "وسكي"، و"شامباين" وغيرها. ولكن رسول الله (ص) أشار إلى استخدام هذه المسكرات، إذ يقول "ليشربنّ اناس من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها". قد أراد الإسلام من وراء تحريم الخمر حفظ الأموال من السفاهة والجنون، وحفظ الأجسام لأن الخمر تهدمها، وحفظ العقول لأنها تذهب بها، وحفظ الأغراض لأن من سكر يذهب منه احترامه. قد أقرت الدراسات أن استخدام الخمر يلعب دورًا بارزًا في سوء تغذية.

إنما قصد الله بتحريم الخمر برّ الإنسان وإصلاح العيش الاجتماعي والفردي وفاز في سعيه وصارت أمة المسلمين خير الأمم، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله. وهذا من خصائص الإسلام الذي حقق نجاحًا في تحريم الخمر والأشربة المسكرة، يعد هذا أحد المميزات للإسلام فقط لما جاهدت بلاد مختلفة مثل أمريكا لتحريم الأشربة المسكرة ولكنها فشلت في سعيها.

كان زعماء حركة الاستقلال في الهند أخذوا تحريم الأشرطة المسكرة احدى الأسلحة للمقاومة ضد الاحتلال البريطاني. وإن كانوا قد احتملوا أذى كثيرا في هذا السبيل، فازوا إلي حد ما حتى قد غلقت بعض الحوانيت. وعلى الحكومة أن تحافظ كثرة دخلها ولذا لا تحت علي تحريم الخمر. وقد اعتبر استخدام الأشرطة المسكرة قبل خمسين عاما مستحقا للعقاب في الأسرة والمدارس. وكان هذا مقياس الفضيلة في ذلك الوقت. قد رفع بعض المفكرين أصواتهم للتحريم الكامل ولكن لم يفز. ولكن محمد رسول الله (ص) نجح في تحريم الأشرطة المسكرة قبل 1400 عام. وسهل عليه إيقاظ العقول بثورة الإصلاح الفردية والاجتماعية . وقد كفن بتحريمها أعمال الخبائث. إنه قد بعث لإتمام مكارم الأخلاق لكافة الناس.

المراجع

1. دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثامن
2. صحيح البخاري
3. Gandhi Margam, K. Raghavan Nair
4. Alchholism: New knowledge and information, Griffith Edwards and Marcus Grant